الصباح الإسلامية
08
العدد 1630 - السنة السادسة
الإثنين 27 رمضان 1434 - الموافق 5 اغسطس 2013
Monday 5 August 2013 - No.1630 - 6th Year

تذكرنا بأن الحسنات يذهبن السيئات وأن لذة الحياة في الطاعات لا بالمعاصي

العشر الأواخر..

- العباد يغفلون عن سؤال من يقضي الحاجات كلها ولا يعجزه شيء وهو الغني عن العالمين وهم فقراء إليه
- لا مؤمن إلا ويعلم أن النافع الضار هو الله سبحانه وأنه تعالى يعطي من يشاء ويمنع من يشاء

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد...

فها قد جاءت العشر الأواخر من شهر رمضان لتذكرنا ببعض الأمور والتي منها: قول الله عز وجل: «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ (140: آل عمران)، وبقوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ (185: آل عمران)، وبقوله جل جلاله: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27: الرحمن)، بالأمس القريب كنا ننتظر شهر رمضان وها نحن في العشر الأواخر منه فهل من متعظ ومدكر؟

قال الحسن البصري رحمه الله: يا ابن آدم انما أنت أيام اذا ذهب يوم ذهب بعضك!

وأخبر صلى الله عليه وسلم عن نفسه والدنيا فقال: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا». رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وجاءت العشر لتذكرنا بالاحسان، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» رواه مسلم.

غدا توفى النفوس ما كسبت
ويحصد الزارعون ما زرعوا
ان احسنوا احسنوا لانفسهم
وان اساءوا فبئس ما صنعوا

الاحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» رواه البخاري. هكذا عرفه صلى الله عليه وسلم.

فعليك بمراقبة الله في السر والعلن وفي القول والعمل وفعل الخيرات على أكمل وجه وابتغاء مرضاة الله عز وجل، ومن احسانك لنفسك أن تبعدها عن الحرام، ولا تفعل الا ما يرضي الله، وبذلك تطهر نفسك وتزكيها، وتريحها من الضلال والحيرة في الدنيا، ومن الشقاء والعذاب في الآخرة، قال تعالى: «إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» (7: الاسراء).

وجاءت العشر لتذكرنا بأن الحسنات يذهبن السيئات «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114)» هود، ويقول عز وجل: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا» (31: النساء).

ويقول صلى الله عليه وسلم: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ويقول صلى الله عليه وسلم: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَ الْكَبَائِرَ» رواه مسلم.

فجاءت العشر لتقول لك يا عبد الله اتق الله والتزم بطاعته وابتعد عن معصيته يكفر عنك ما فات.

أقبل على النفس واستكمل فضائلها

فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

فالحياة في الطاعة الذ من الحياة في المعصية «أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا» (122: الأنعام).

قال جعفر بن محمد رحمه الله: من نقله الله من ذل المعصية الى عز الطاعة أغناه بلا مال وآنسه بلا أنس وأعزه بلا عشيرة.

هذا الدليل لمن أراد
غنى يدوم بغير مال
وأراد عزا لم توطد
ده العشائر بالقتال
ومهابة من غير سلـ
ـطان وجاها في الرجال
فليعتصم بدخوله
في عز طاعة ذي الجلال
وخروجه من ذلة الـ
ـمعاص له في كل حال

وجاءت العشر لتذكرنا بهدي النبي صلى الله عليه وسلم فيها قالت عائشة رضي لله عنها: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ. رواه البخاري.

وهذا دليل على اجتهاده صلى الله عليه وسلم في العبادة واعتزاله للنساء ودعوته لأهله لعبادة الله تعالى متمثلا قول الله عزوجل: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى» (132: طه).

وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ» رواه البخاري.

اي كاسية بنعم الله عز وجل في الدنيا عارية من شكره والايمان به فهي عارية يوم القيامة من رحمته والعياذ بالله.

ومن هديه صلى الله عليه وسلم انه كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ. رواه البخاري.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ. رواه مسلم.

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه يتحرى ليلة القدر ويقول: « فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَالْتَمِسُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ ». رواه البخاري.

اي انها تكون في الوتر من العشر الأواخر فيا سعادة من نال بركتها وحظي بخيرها فالمحروم من حرم خيرها قال صلى الله عليه وسلم في فضائل شهر رمضان: «فِيهِ لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ ». مسند أحمد 134/12

وصحح اسناده أحمد شاكر.

ويستحب الاكثار من الدعاء فيها قالت عائشة رضي الله عنها: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا قَالَ «قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي». رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وقد تكون في ليلة السابع والعشرين وقد تكون في غيرها من ليالي الوتر من العشر الأواخر فاحرص على كل الليالي يا عبد الله ولا تكن ممن يأتي فقط في ليلة سبع وعشرين ويترك باقي الليالي!

قال ابن رجب رحمه الله: العفو من أسماء الله تعالى، وهو يتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها عنهم، وهو يُحبُّ العفو ؛ فيحب ان يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فاذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب اليه من عقوبته، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ». رواه مسلم.

قال يحيى بن معاذ: لو لم يكن العفو أحب الأشياء اليه لم يبتل بالذنب أكرم الناس عليه... وانما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر لأن العارفين يجتهدون في الأعمال، ثم لا يرون لأنفسهم عملا صالحا ولا حالا ولا مقالا، فيرجعون الى سؤال العفو كحال المذنب المقصر. لطائف المعارف ص 230-231.

عن عَبْدَاللَّهِ بْنَ بُسْرٍ رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «طوبى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا». رواه ابن ماجة، وصححه الألباني.

قال الشوكاني في تحفة الذاكرين: اسناد ابن ماجه صحيح.

فأكثر من طلب العفو والاستغفار يا عبد الله نسأله تعالى باسمائه الحسنى وصفاته العلى ووحدانيته أن يعفو عنا وأن يغفر لنا خطايانا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فيا ترى كيف نستقبل العشر الاواخر؟

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخص هذه العشر الأواخر بعدة أعمال.

ففي الصحيحين من حديث عائشة: «كان رسول الله اذا دخلت العشر شد مئزره واحيا ليله وايقظ اهله» ولفظ لمسلم: «أحيا ليله وايقظ اهله» ولها عند مسلم: «كان رسول الله يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيرها».

ولها في الصحيحين: «أن النبي كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «نهى رسول الله عن الوصال في الصوم فقال له رجل من المسلمين: انك تواصل يا رسول الله؟

قال: وأيكم مثلي اني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني».

فمن هذه الأحاديث نرى أن النبي كان يجتهد بالأعمال التالية:

1 – ايقاظ أهله: وما ذاك الا شفقة ورحمة بهم حتى لا يفوتهم هذا الخير في هذه الليالي العشر.

2 – احياء الليل: فانه اذا كان رمضان كان يقوم وينام، حتى اذا ما دخلت العشر الأواخر أحيا الليل كله او جله، فقد أخرج أصحاب السنن باسناد صحيح من حديث أبي ذر رضي الله عنه: «صمنا مع رسول الله في رمضان فلم يقم بنا شيئا منه حتى بقي سبع ليال، فقام بنا السابعة حتى مضى نحو من ثلث الليل، ثم كانت التي تليها... حتى كانت الثالثة فجمع أهله واجتمع الناس فقام حتى خشينا الفلاح. فقلت: وما الفلاح؟ قال: السحور».

3 – شد المئزر: والمراد به اعتزال النساء كما فسره سفيان الثوري وغيره.

4 – الاعتكاف: وهو لزوم المسجد للعبادة وتفريغ القلب للتفكر والاعتبار.

5 – الوصال: وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يأكل شيئا أبدا لمدة أيام وهذا من خصائصه.

ففي الصحيحين من حديث ابن عمر أن رسول الله واصل في رمضان فواصل الناس فنهاهم، فقيل: انك تواصل، فقال: «اني لست مثلكم اني أطعم وأسقى». ولهما من حديث أبي هريرة «وأيكم مثلي، اني أبيت يطعمني ربي ويسقيني» وعند مسلم من حديث أنس «أن النبي نهاهم عن الوصال فأبوا أن ينتهوا، واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال: «لو تأخر لزدتكم» كالمنكل لهم. وفي لفظ عند مسلم «لو مد الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم...» فمن هذه الأحاديث نعلم أن الرسول كان يواصل الصيام في العشر الأواخر بدليل أنهم رأوا الهلال وهذا لا يكون الا في آخر الشهر. وأيضا شدة حرص الصحابة على الاقتداء به. وأيضا أن المراد بالاطعام والسقاء ليس هو طعاما وسقاء حقيقيا «بل المراد ما يغذيه الله لنبيه من معارف وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه وتنعمه بحبه والشوق اليه وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلب وتعيم الروح وقرة العين وبهجة النفوس والروح والقلب بما هو أعظم غذاء وأجوده وانفعه حتى يغني عن غذاء الأجسام مدة من الزمن وكما قيل

لها أحاديث من ذكرك تشغلها
عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به
ومن حديثك في أعقابها حادي
اذا شكت من كلال السير أوعدها
روح القدوم فتحيا عند ميعاد

ومن له أدنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني، ولا سيما المسرور الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قرت عينه بمحبوبه، وتنعم بقربه، والرضى عنه، والطاف محبوبه وهداياه وتحفه تصل اليه كل وقت، ومحبوبه حفي به، معتن بأمره، مكرم له غاية الاكرام مع المحبة التامة له، أفليس في هذا أعظم غذاء لهذا المحب؟ فكيف بالحبيب الذي لا أجل منه وأعظم، ولا أجمل ولا أكمل ولا أعظم احسانا اذا امتلأ قلب المحب بحبه، وملك حبه جميع أجزاء قلبه وجوارحه وتمكن حبه منه أعظم تمكن، وهذا حاله مع حبيبه، أفليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا؟ ولهذا قال «اني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني» ولو كان ذلك طعاما وشرابا للفم، لما كان صائما فضلا عن كونه مواصلا» اهـ كلام ابن القيم من الزاد

ترى أيه الأحبة: لماذا يفعل رسول الله كل هذا؟

انه يطلب تلك الليلة الزاهية، تلك الليلة البهية، ليلة القدر، ليلة نزول القرآن، ليلة خير من ألف شهر.

نعم انها ليلة القدر: التي من قامها ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه (كما في البخاري من حديث أبي هريرة).

انها ليلة القدر التي ان وفقت لقيامها كتب لك كأنك عبدت الله اكثر من (83) عاما.

انها ليلة القدر: ليلة عتق ومباهاة، وخدم ومناجاة، وقربة ومصافاة.

واه لنا ان فاتتنا هذه الليلة.

وا حسرتاه ان فاتتنا ليلة القدر.

وكيف لا يتحسر من قد فاتته المغفرة، من فاته عبادة أكثر من ثلاث وثمانين عاما، ان من تفوته فهو المحروم، وهو المطرود.

عند ابن ماجة (قال في صحيح الترغيب والترهيب: حسن) (ان هذا الشهر قد حضركم فيه ليلة خير من الف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها الا محروم) انها ليلة القدر التي كان رسولنا يحث الصحابة على التماسها حثا شديدا.

أيها الأحبة:

ان ادراك ليلة القدر – والله – لهو أمر سهل – على من سهل الله عليه – وما ذاك الا بان نقوم العشر الأواخر كلها وبهذا نضمن ادراك ليلة القدر باذن الله.

أيها الأحبة:

ان قيام الليل هو دأب الصالحين وشعار المتقين وتاج الزاهدين، كم وردت فيه من آيات وأحاديث، وكم ذكرت فيه من فضائل، فكيف اذا كان في رمضان، وفي العشر الأواخر منه حيث ليلة القدر.

ماذا فاته من فاته قيام الليل، أما لكم همة تنافسون الحسن والفضيل وسفيان.

أما لكم همة كهمة التابعي أبي ادريس الخولاني حيث كان يقوم حتى تتورم قدماها ويقول: والله لنناقسن أصحاب محمد على محمد صلى الله عليه وسلم وحتى يعلموا أنهم خلفوا وراءهم رجالا.

يا أيها الراقد كم ترقد
قم يا حبيبا قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته
حظا اذا هجع الرقد
من نام حتى ينقي ليله
لم يبلغ المنزل او يجهد
قل لذوي الألباب أهل التقى
قنطرة العرض لكم موعد

آه يا مسكين لو رأيت أقواما تركوا لذيذ النوم ففازوا بليلة القدر فهم في قبورهم منعمين، وغدا بين الحور العين جذلين، وفي الجنان مخلدين.

آه لو رأيت من ترك قيام الليل، فهو في قبره ما بين حسرة ولوعة.

يا عبد الله اهجر فراشك، فان الفرش غدا أمامك

اهجر فراشك جوف الليل وارم به
ففي القبور اذا فوافيتها فرش
ما شئت ان شئتها فرشا مرقشة
أو رمضة فوقها السمومة الرقش(الأفاعي)

هذا ينام قرير العين نائما
وذا عليه سخين العين ينتهش
شتان بينهما وبين حالهما
هل يستوي الري في الأحشاء والعطش
قاموا ونمنا وكل في تقلبه
لنفسه جاهدا يسعى ويجتوش
الله الناس ان عد الكرام فهم
وان ترد دبشا فنحن ذا دبش
فيا عبد الله
ان اردت لحاق السادة، فاترك مخالة الوسادة.

يا ثقيل النوم: أما تنبهت، الجنة فوقك تزخرف، والنار تحتك توقد، والقبر الى جنبك يحفر، ولربما يكون الكفن قد جهز.

يا عبدالله:

أمامك الجواهر والدرر، أمامك ليلة القدر، فعلاما تضيع الأعمار في الطين والمدر.

يا طويل النوم:

بادر قبل أن يفوتك (تتجافى جنوبهم) فتأتي يوم القيامة فلا تجد (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين).

فيا أخي: والله ان العمر كله قصير، فكيف بعشر ليال.

الا تستحق ليلة القدر أن نضحي من أجلها بعشر ليال فقط.

غدا يا عبدالله عندما يوفى الناس أعمالهم تحمد قيامك وصيامك.

غدا يا عبدالله تفرح بتهجدك وصلاتك، حين يتحسر أهل الغفلة.

اللهم انا نسألك أن تجعلنا من من يوفق قيام لليلة القدر وأنت أكرم الأكرم.

الدعاء في العشر الأواخر

الحمد لله الكريم الوهاب، خلق خلقه من تراب، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، إمام الأنبياء وسيد الحنفاء، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين آمنوا وهُدوا إلى الطيب من القول، وهدوا إلى صراط الحميد.

عندما تنزل الحاجة بالعبد فإنه ينزلها بأهلها الذين يقضونها، وحاجات العباد لا تنتهي، يسألون قضاءها المخلوقين، فيجابون تارة ويردون أخرى. وقد يعجز من انزلت به الحاجة عن قضائها. لكن العباد يغفلون عن سؤال من يقضي الحاجات كلها؛ بل لا تقضى حاجة دونه، ولا يعجزه شيء، غني عن العالمين وهم مفتقرون إليه. إليه ترفع الشكوى، وهو منتهى كل نجوى، خزائنه ملأى، لا تغيضها نفقة، يقول لعباده ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

كل الخزائن عنده، والملك بيده